



الإخوان المسلمون

الخميس 23 مايو 2013 05:03 م
رسالة من : أ.د. محمد بدیع - المرشد العام للإخوان المسلمين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد

يطل علينا شهر رجب الأصم.. هو الشهر الفرد من بين الأشهر الأربعة الخُزم.. رجب ثم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم... وهي أشهر عظمها الحق سبحانه وتعالى منذ بدء الخليقة.. وحرم فيها القتال والاعتداء على النفس بأى نوع من الأذى.. قال سبحانه: **(إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَطْلُمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ)** (التوبة : 36).

فكان الأمن والأمان والسلام يعم جزيرة العرب في هذه الأشهر.. في شهر ذي الحجة حيث تؤدي المناسك، وقبلها بشهر وبعدها بشهر حتى يأمن الناس على أرواحهم وأموالهم في الذهاب والإياب وأداء المناسك، وفي شهر رجب حيث تكثر العمرة إلى بيت الله الحرام، وكان العربي- عابد الصنم- يلقي قاتل أبيه في هذه الأشهر الحرم، فلا ينأر منه ولا يعتدي عليه تعظيمًا لحرمة هذه الشهور.. وكان الله تعالى يريد أن يكبح دوافع الشر وشهوة الانتقام في نفوس البشر خلال فترة محدودة (وهي الأشهر الحرم) أو في أماكن محدودة (مثل البيت الحرام والأرض الحرام)؛ ليتعود الإنسان أن يكظم غيظه وأن يكبح هواه، فلا يندفع في الانتقام لذاته أو الانتصار لحظ نفسه، وأن يعظم حرمة النفس الإنسانية خلال شهور محدودة، ليكون ذلك ديدنه في باقي شهور السنة وسائر الأمكنة مع البيت الحرام.

إن النفس الإنسانية عالية عند الله تعالى، لأنه سبحانه هو واهب الحياة ونافخ الروح **(فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ)** (الحجر: 29).

وإنَّ الدم البشري حرامٌ فلا يصح أن يهراق بغير حق، وإن الاعتداء على الحياة جريمة عظيمة لا تغتفر، وحينما وقعت جريمة القتل الأولى في تاريخ البشرية- من قابيل على أخيه هابيل- بدافع الحقد والغيرة والحسد، حذر الله تعالى من مغبتها ومن محاكاتها، فقال عز وجل: **(مَنْ أُجْلِيَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا)** (المائدة: 32).

إن القاتل لا يعتدي على المقتول وحده بل يعتدي على كل من حوله؛ زوجته وأولاده، وأمه وأبيه وإخوته، وأقاربه وأصحابه فيدخل الحزن والألم والفقر والضياع، على الأم النكلى والزوجة الأرملة والأطفال اليتامى، وكل إنسان صاحب ضمير حتى يأسى لرؤية الدماء وتمزق الأشلاء، ونشر الدمار.

وإذا كان القتل حرامًا عند الله تعالى فإن كل ما يؤدي إلى القتل ويؤذي النفس البشرية حرام كذلك كالإيذاء والضرب والتعذيب والترويع والخطف والحبس؛ مما تقع فيه البشرية في عصورها وأحوالها الظالمة المظلمة.

وهذا ما حذر منه الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الطبراني عن ابن عباس، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا يَقَعَنَّ أَحَدُكُمْ مَوْفِعًا يُفْتَلُ فِيهِ رَجُلٌ طُلْمًا، فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَصَرَهُ جِبْنَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ، وَلَا يَقَعَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَوْفِعًا يُصْرَبُ فِيهِ أَحَدٌ طُلْمًا، فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَصَرَهُ جِبْنَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ" خلاصة الأمر أن الله تعالى الذي خلق الإنسان يريد له العيش في أمن وأمان وسلام، ولهذا عظم حرمة الدم وحرمة النفس قال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَحَمَلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْصِيلًا) (الإسراء: 70).

وقد أخرج الطبراني عن جابر رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا افْتَتَحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ، اسْتَفْعَلَهَا بِوَجْهِهِ، وَقَالَ: "أَنْتَ حَرَامٌ، مَا أَعْطَمَ حُرْمَتَكَ وَأَطْيَبَ رِيحَكَ! وَأَعْطَمَ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكَ الْمُؤْمِنُ"، أما آن الأوان أن نتق بهذه الحرمة والخوف من الله عز وجل المنتقم الجبار الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه ابن ماجه عن البراء بن عازب: "لَرَّوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ". أما آن لنا أن نوقف الدماء التي تسيل في هذا الشهر الحرام بوميا بالمئات بأيدي المجرمين الظلمة في سوريا المكلمة وفي العراق وغيرها بلدان المسلمين.

هل نستطيع أن نهدأ قليلاً في شهر الله الحرام - شهر رجب- فنكف عن الاعتداء والتحريض والتحرش والقتل والحرق والترويع والخطف، هل نستطيع أن نلتقط أنفاسنا ونعظم حرمة الشهر؟ هل نستطيع أن ننشر الأمن والأمان والسلام في ربوع بلادنا، بل في ربوع الأرض؟ وأن نتذكر أننا جميعاً إخوة في البشرية، شركاء الإنسانية، رفقاء في الحياة.

فنجتهد ألا نظلم ولا نُظلم ولا نعندي، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعْدَمَا بَيَّنَّ حُرْمَةَ هَذِهِ الْأَشْهُرِ قَالَ: (ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَطْلُمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) (التوبة : 36).

لا تظلم نفسك بانتهاك حرمة الله فيعاقبك الله، ولا تظلم الآخرين لأنهم إخوانك في الإنسانية إذا اعتديت عليهم فكأنك اعتديت على نفسك، قال جل شأنه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (النساء: 1).

على أن الله تعالى بعدما نصح وأرشد، ووعظ وحذر، يعلم أن هناك من لا يرتدع بل ينتهك الحرمات، ويصر على العدوان، فأذن للمعتدى عليه أن يرد الاعتداء ويدفع العدوان، حتى لو كان ذلك في الشهر الحرام، فقال سبحانه: (تَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ) (البقرة: 217).

ومع قدوم هذا الشهر الكريم شهر رجب تقترب منا ظلال الرحمة والنفحات في شهر شعبان ثم رمضان، الذي نمتنع في نهاره عن شهوات حلال، بعد أن تدرينا في رجب على الامتناع عن الحرام، فما أحرانا أن نهتياً أنفسنا لهذه النسمات الروحية التي نحن في أمس الحاجة إليها لنخفف عن أنفسنا ظلام المادة وشفاء التنافس والتناحر ونيران العداوة والبغضاء، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إِذَا دَخَلَ رَجَبٌ دَعَا اللَّهَ تَعَالَى فَقَالَ: مَا أَخْرَجَهُ الْبِرَارُ وَالطَّيْرَانِي: "اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبٍ وَشَعْبَانَ وَتَلَعْنَا رَمَضَانَ"، نحن في شوق إلى رمضان؛ فلنهيء أنفسنا الآن بالطاعات والقربات، صياماً وقياماً، وتلاوة للقرآن، وإشاعة للأمن والأمان؛ حتى يأتينا الشهر الكريم ونحن في أفضل حال من وحدة الصف، ووحدة الهدف، واتلاف القلوب، والتوجه إلى الله تعالى أن يصلح أحوالنا وينهض بلادنا، ويفجر فيها ينابيع الخير والبركة في مزارعنا ومصانعنا ومعاهدنا ومصالحنا، وها هو فضل الله ورحمته علينا في رجب بتحرير أبنائنا المخطوفين في جريمة نكراء في الأشهر الحرم، ولما علم الله عز وجل من كل الشعب المصري ومن قيادتنا الحرص على دماننا ورأى الحكمة والصبر في التخطيط والتنفيذ وفقنا وأنم علينا النعمة وأنجانا برحمته من إراقة أي دم، فهو سبحانه وتعالى القائل (إِنْ يَغْلِبِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا فُلُوبِكُمْ خَيْرًا) (الأنفال: 70).

إن الله تعالى- البر الرحيم- يعلم أن هناك من يُحرص بيننا ومن يحاول شق صفوفنا وتفريق جمعنا وتشتيت قوانا، من شياطين الإنس والجن، ولهذا يحذرنا عز وجل من "استدراج" الشياطين ومن "خطوات" الشياطين في الوقعة وإيقاظ الفتن وإشعال الحروب فيقول جل شأنه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (البقرة: 208).

فهل نستجيب لدعوة الأمن والأمان؟ وهل نستروح في ظلال الشهر الحرام؟ وهل نستعد لشهر رمضان وأنوار القرآن وسعادة الإنسان؟ (وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْخُسْئَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (يونس: 25-26).

يجل الله تعالى حياتنا خيراً وسعادة، وأخرانا جنة وزيادة، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

<http://www.ikhwanonline.org/article/150466>